الفصل الخامس

النسانيس

تمثل النسانيس – التى يطلق عليها أحيانا القردة العليا – القسم الثانى من الرئيسيات بعد القردة، والمعروف أنها نشأت خلال الأحقاب السابقة من أسلافها من القردة، ولكنها أصبحت تختلف عنها اختلافات واسعة المدى، كما سوف يتبين فيما بعد. وهى تشتمل على خمسة أجناس تضم حوالى عشرة أنواع. ومن أشهر أمثلة هذه الأنواع، الجيبون والأورانجو تانز والغوريللا والشمبانزى، وهى واسعة الانتشار فى كل من أفريقيا الاستوائية وآسيا، مشتملة على سومطرة وجاوة وبورنيو.

ويعتبر الجيبون أصغر هذه الأنواع حجمًا، ومازال يحتفظ بالمعيشة الشجيرية إلى حد كبير. أما الأنواع الثلاثة الأخرى، فقد تركت المعيشة الشجيرية إلى حد كبير وذلك نظرًا لضخامة أجسادها وصعوبة تحمل أفرع معظم الأشجار لثقل جسمها.

كذلك، فإنه – فى كثير من الأحيان – كان يحدث خلط بين الغوريللا والشمبانزى لشدة التشابه بينهما، إلا أنه أمكن التمييز بينهما بسهولة إلى حد كبير، فالغوريللا أكبر حجمًا وعضلاتها أكثر قوة من الشمبانزى. كذلك توجد عظام معينة واضحة فى جمجمة الغوريللا خاصة فى ذكورها، ولا يوجد مثيل لها فى جمجمة الشمبانزى.

ويلاحظ أيضًا أن عائلة الشمبانزى تنام مع بعضها فى أماكنها، أما الغوريللا، فإن ذكورها تنام على الأرض بينما تنام الإناث والصغار على مرتفعات صغيرة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشمبانزى أكثر حيوية وقابلة للاستئناس والمعاشرة، أما الغوريللا، فإنها متجهمة دائمًا ولا تخشى شيئًا.

خصائصها الجسدية:

● تتميز النسانيس – بصورة عامة – بكبر أحجامها وضخامة أجسامها؛ حيث يصل وزن بعضها إلى ٢٧٠ كيلو جرامًا. كذلك، فإن لها فكوكا بارزة، ولا يوجد ذيل واضح لها، وذلك بخلاف جميع أنواع القردة.

● لها رأس كبير ورقبة طويلة وصدر عريض، كما أن المنطقتين العنقية والعجزية (مؤخر البطنية) أكثر طولاً عنها فى القردة، وذلك على عكس المنطقتين: القطنية (البطنية) التى تكون فى النسانيس أقصر عنها فى القردة.

● ولهذه الحيوانات أذرع طويلة، والإبهام قصير فى أيديها، ولكن سلاميات الأصابع طويلة، ولها كعب أو راحة قدم عريضة وأصابع أقدامها قصيرة.

● من مميزات النسانيس أيضًا وجود حاجزا أو حاجب بارز فوق عينيها.

● فيما يتعلق بأسنانها، فإن أنيابها طويلة بارزة خاصة فى الذكور، وتشبه أضراسها الشفرات الحادة، وتحمل الطواحن بروزات طويلة.

أنماطها المعيشية والغذائية:

تعيش هذه الحيوانات على الأرض بصورة أساسية، وهى نهارية المعيشة. ونظرًا لضخامة أجسادها، فإنه يصعب عليها القفز بين أفرع الأشجار، وإن كانت تستطيع التأرجح بين هذه الأفرع بواسطة أذرعتها القوية التى تتميز بطولها غير العادى. على أن أقدامها مهيأة للمشى على الأرض، ولكنها لا تستطيع حفظ توازنها على قدميها لفترة طويلة، ولذلك فإن الجزء الأمامى من الجسم يرتكز على أذرعها الطويلة، وعندئذ تبدو منتصبة القامة أثناء ذلك.

وتهيئ النسانيس لنفسها منصات أو مصاطب معينة تستريح وتنام عليها أثناء الليل. وهى تتغذى على الفاكهة والحشائش والألياف كما تأكل الحشرات وبيض الطيور ويساعدها على مضغ تلك الأطعمة عضلاتها الوجهية القوية وطواحينها ذوات النتوءات البارزة.

سلوكها الاجتماعى:

تعتبر النسانيس ذات سلوك اجتماعى وقدرات ملموسة، ولعل ذلك راجع بصورة رئيسية إلى كبر المخ فيها ووفرة تعاريجه مقارنة بالقردة السابقة ويظهر ذلك بوضوح فى بعض قدراتها الذهنية وقوة ذاكرتها، وهذا بجانب مقدرتها الواضحة على الاتصال والتفاهم مع بعضها. وقد تبين أنه يمكنها أن تصدر اثنين وثلاثين صوتا ذات نغمات متباينة ولها دلالاتها المختلفة. ونظرًا لقوة عضلات وجهها، فإنه يمكنها أن تعبر عن العديد من المشاعر مثل الدهشة والضحك والغضب والسرور والانزعاج وغيرها.

كذلك تتميز هذه الحيوانات بالعنف الشديد فى العديد من المواقف خاصة فى حالة الدفاع عن الأماكن التى تقطنها حيث تبدو عندئذ فى حالة مخيفة من الشراسة، وهى تستخدم أذرعها الطويلة وأنيابها القوية أثناء عراكها مع غيرها.

على أن لهذه الحيوانات نظام أسرى متقدم، حيث تعيش فى عائلات، تتكون كل عائلة من ذكر واحد وأنثى واحدة وصغير لهما. كذلك يعيش معظمها فى تجمعات أو فرق صغيرة ينفرد بكل فرقة منها أحد الذكور الأقوياء، ويقوم أفراد كل فرقة بمعاونة بعضها فى المهام المختلفة، إلا أن لكل فرقة أو مجموعة تقاليد اجتماعية خاصة بها.

سلوكها الجنسى والتزاوجى:

يتضمن التكاثر وجود دورة حيض تستمر حوالى خمسة وثلاثين يوما، وفترة نمو الصغار طويلة نسبيا تمتد من ٧ – ١٢ عاما، ويصل عمر هذه الحيوانات إلى نحو أربعين عامًا فى بعض الأنواع وخمسين عامًا فى بعض الأنواع الأخرى.

أشهر أنواع النسانيس

الأورانجو تانز أو الأورانجو أوتانز: (شكل ٢٠ – ألوان)

ينتشر هذا النوع فى غابات آسيا بصورة عامة وهى مهيأة للمعيشة الشجيرية إلى حد ما بأطرافها الطويلة جدا وأصابعها القوية. كما أن عظام الأصابع مقوسة لتساعد فى الأمساك بشدة بأفرع الأشجار، وأطرافها الخلفية قصيرة.

يبلغ ارتفاع القامة حوالى ١٨٠ سم، والذكور أطول من الإناث، كما أن وزن الذكر يبلغ فى متوسطه ٦٠ كيلو جراما، وهو ضعف وزن الأنثى تقريبا.

كما أن للذكر لحية وشوارب طويلة وشعيرات لمسية وحسية، والجسم أصفر والوجه رمادى اللون.

وتمشى هذه الأنواع بتؤدة على جانبى أقدامها، وهى هادئة وساكنة وخجولة.

يحدث التزاوج والحمل فى أى وقت خلال العام، ومدة الحمل تسعة أشهر فى المتوسط.

هذه الأنواع مهددة بالانقراض بسبب التوسع فى صيدها وإزالة الغابات والأشجار التى تقطنها، ويقدر أن الموجود منها فى الوقت الحالى لا يزيد على ٥,٠٠٠ – ١٠,٠٠٠ قرد. ويحدث هذا التدهور فى أعداد الأورانج على الرغم من وجود بعض المحميات لها فى بعض المناطق المختلفة ووجود قوانين تمنع استيراده فى إنجلترا وأمريكا وصدور عدة قرارات وقوانين تحرم صيده.

وتذكر بعض الأساطير أن هذا النوع يمثل إنسان الغابة وأنه يتميز بالبلادة والخمول، وأنه يخشى دفعه للعمل، ولذلك يتظاهر بالخرس.

الجيبون: (شكل ٢١ – ألوان)

يعتبر الجيبون من أكثر أنواع الثدييات رشاقة، وذلك نظرًا لصغر أجسامها وخفة أوزانها، التى‌تتراوح بين ٥ – ١٣ كيلو جراما.

وهذه الأنواع شجيريية المعيشة، بينما هجرت بقية النسانيس تلك المعيشة، وربما كان ذلك بسبب ضخامة أجسامها وثقل أوزانها بما يصعب على أفرع الأشجار تحملها، كما يجعل المشى صعبًا عليها إلا بواسطة قفزات معينة.

وللجيبون أذرع طويلة (حوالى متر) تكاد تصل الأرض عندما يكون واقفًا معتدل القامة. وهو يستعمل أذرعه بالتناوب فى خفة بالغة جاعلاً يديه مثبتتين فى وضع يشبه الهلب حيث يتذبذب من فرع لآخر بسرعة فائقة حتى يبدو كأنه يطير فى الهواء بين تلك الأرفع أو يترك على خميلة متينة. ويلاحظ أن لأرادفه وسائد لحمية كبيرة يستقر بها على تلك الوسائد.

الجسم مغطى بغطاء صوفى كثيف، والوجه أسود اللون وكذلك بقية أجزاء الجسم المعرضة، ويبلغ وزن المخ فيها حوالى ١٢٥ جراما، كما أن لها ١٣ زوجًا من الضلوع.

ويمشى الجيبون وهو واقف على رجليه بصعوبة رافعًا يديه إلى أعلى لإحداث التوازن، وهو يدعم وضعه فوق اليابسة بواسطة أطرافه الأربعة فى وضع شبه قائم، وأن كان يستطيع أن يمشى على رجليه فقط ولكنه لا يحب الذهاب إلى الماء.

وتسافر هذه الأنواع فى مجموعات أسرية، إلا أن الذكور الكبير تعيش دائمًا على انفراد.

ومن الطريف أن دارون قد وصف هذه القردة بأنها ذات صوت موسيقى يصدر أثناء الليل، وأطلق على هذه الأصوات «أغانى المساء».

الغوريللا: (الشكل ٢٢ – ألوان)

الغوريللا – بأنواعها المختلفة – أكبر النسانيس حجمًا وأثقلها وزنًا، قد يصل وزن بعضها ٢٧٠ كيلوجرامًا، ويبلغ ارتفاع قامتها حوالى ١٣/٤ مترا. وعندما تقف شبه معتدلة، فإن طولها يصل إلى مترين تقريبًا. فراؤها قصير وشعرها أشعث

خشن أسود، أو أصفر اللون والوجه خال من الشعر تقريبًا، ويلاحظ فى بعض الأنواع أن الشعر رمادى فضى فى منطقة ظهر الذكور. ويوجد فى بعض الأنواع، مثل غوريللا الجبل، شعر طويل يكون عرفا فوق قمة الرأس، وهو أكثر تميزا فى الذكر.

وأذرع الغوريللا أطول من أرجلها كما أنها أطول بكثير من أذرع الإنسان، وتصل المسافة بين الذراعين الممتدين ٢٠٠ - ٢٧٥ سنتيمترا. ويلاحظ أن الإصبع الكبير فى القدم يكون فى مقابل بقية الأصابع، ويمكنه ذلك من التقاط وحمل الأشياء بواسطة أقدامها. وعلى الرغم من أن للغوريللا أعينا صغيرة وآذان صغيرة، فإنها حادة السمع والبصر.

يتراوح وزن المخ منها بين ٥٠٠ - ٦٥٠ جراما. هذه النسانيس متنوعة الغذاء وتنقل الغذاء إلى فمها بأيديها، ويشتمل هذا الغذاء على النباتات خاصة سيقان النباتات العصيرية، وتتسلق الأشجار حتى ارتفاع ١٥ مترا، كما تتسلق الجبال بحثًا عن الغذاء. وكثيرًا ما تهاجم مزروعات الأهالى وتأكل الماشية وغيرها.

سلوكها الاجتماعى:

تعيش كل مجموعة من الغوريلا مع بعضها فى موطن خاص بها، ولكنها تقبل الغرباء الذين يفدون إليها.

ويتم التفاهم بين أفراد هذه المجموعات عن طريق إصدار العديد من الأصوات، وتساعدها أكياس حنجرية معينة فى إحداث صدى عميق لتلك الأصوات ذات الدلالات المختلفة. كما تتميز بقدرتها على إظهار تعبيرات مختلفة بوجهها عن المشاعر التى تحس بها أو تعانيها.

وتتواجد الغوريللا عادة فى مجموعات يتراوح عدد كل منها بين ٥ - ١٥ فردًا، وقد تصل فى بعض الأنواع إلى ٥٠ فردا، يرأسها ذكر قوى يساعده عدد من الذكور الأصغر سنا - وتضم كل مجموعة عددًا محدودًا من الذكور وعددًا كبيرًا من

الإناث، بينما يوجد بعضها على هيئة مجموعات صغيرة تتكون من ذكر بالغ وأربع إناث بالغة وثمانية إلى عشرة صغار.

وعلى الرغم من المظهر الوحشى المخيف للغوريللا، فإنها ليست هجومية عادة بالنسبة للإنسان أو لغيره من الحيوانات، إلا إذا هوجمت منهم، حيث تكون عندئذ غاية فى الشراسة والخطورة وتصدر أصواتًا مرعبة وزئيرًا مخيفًا، كما أنها عندما تغضب لسبب ما، فإن الذكور - بصفة خاصة - تقف منتصبة القامة وتضرب صدرها بعنف بقبضتى يديها.

سلوكها الجنسى والتزاوجى:

يبدأ ظهور الطمث فى الإناث عند عمر ثمانية أعوام، وتتضح لدى الأنثى الرغبة الشديدة فى التزاوج عندما تنتفخ المنطقة المحيطة بالشرج والجهاز التناسلى حتى تصل إلى ذروتها فى تلك الوقت. وتتراوح فترة الحمل بين ٢٠٢ - ٢٦١ يوما، أى ٢٣٠ يوما تقريبا فى المتوسط. ويبلغ وزن الصغير عند ولادته حوالى ١,٩ كيلو جرام، ويعتمد على الأم تمامًا فى غذائه لمدة العامين الأوليين، ثم يقوم الأبوان بتدريبه تدريجيا على تناول الغذاء الصلب.

ويصل الصغير مرحلة البلوغ عند ١٢ عامًا تقريبا. وتظل لهذه الأنواع القدرة الواضحة على التزاوج والحمل والإنجاب لمدة قد تصل إلى أكثر من ٣٠ عاما، علما بأن هذه الأنواع تعيش لمدة ٤٠ عاما فى معظم الأحوال.

بعض الطرائف عن الغوريللا:

● فى المعارك الطاحنة للغوريللا، فإن الذكر يرأس المجموعة ويظل سيدا لها إذا كان منتصرًا. أما إذا انهزم، فإنه ينعزل عنها ويعيش طوال حياته بعد ذلك فى عزلة تامة.

● عاش بعضها فى الأسر حوالى ٣٤ عامًا، وقد تزاوج وانجب عدة مرات خلال تلك المدة. والغريب أنه أمكن استئناسها حتى فى الحدائق المنزلية، وهى

لطيفة مسلية فى طفولتها، ولكنها فى كثير من الأحيان سرعان ما تتحول إلى مخلوق قوى شرس، لا يمكن التحكم فى تصرفاته وتكون الحياة معه مستحيلة لأنها بالغة الخطورة.

الغوريللا :

من الحيوانات النادرة، وذلك لأن الأهالى كثيرا ما يصطادونها لأكل لحومها والحصول على جلودها، كما أن الفهد يفترس الكثير منها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الإنسان يحصل عليها للاستفادة منها فى دراسة بعض الأمراض، بجانب بعض الدراسات النفسية والوظيفية. وعلى ذلك أصبح الموجود منها فى أنحاء العالم لا يزيد على ١٠,٠٠٠ غوريللا فى الوقت الحالى، مقابل الأعداد الضخمة التى كانت موجودة فيما سبق.

الشمبانزى: (شكل ٢٣ - ألوان)

تعيش هذه الأنواع فى المناطق الاستوائية فى أفريقيا، ولها أهمية خاصة فى العديد من المجالات. يتراوح وزن الذكور بين ٧٥ - ١٥٠ كيلو جراما، ومتوسط وزن الإناث ٤٥ كيلو جراما.

مثل بقية النسانيس، ليس لها ذيل واضح، جبهتها مرتفعة والبوز بارز بصورة واضحة. ويشاهد وجود أكياس معينة فى الخدود خاصة فى الذكور كبيرة العمر وهى عبارة عن ترسيبات موضعية من الدهون متماسكة مع بعضها بأنسجة ضامة. كما يوجد بها كيس فى الزور يصدر أصواتًا مختلفة، خاصة وأنه يمكن أن ينتفخ حتى يصل حجم الرأس.

وتتغذى الشمبانزى على الفاكهة والبراعم والحشرات والبيض والطيور الصغيرة.

تمشى هذه الحيوانات رافعة يديها إلى أعلى وذلك لحفظ توازنها، كما يمكنها أن تمشى إلى الخلف وتكون أصابع القدم متجهة للخارج، وعندما تفرد ذراعيها، تصل المسافة بينهما حوالى ٢١/٤ مترا. وهى تنام منتصبة القامة فى الأشجار.

السلوك الاجتماعى:

تعيش الشمبانزى فى مجموعات قوام كل منها ٢ – ٦ أفراد تقريبا، عبارة عن ذكر وأنثى ونسلهما من الصغار. وتحتل كل أسرة منطقة واسعة مساحتها ١٢,٧٢٠ مترا تقريبا. وتقوم بحماية هذه المنطقة والدفاع عنها والتحذير من الأعداء بأصوات مرتفعة تسمع من بعيد (ويصل عدد هذه الأصوات إلى ٣٢ صوتا) بواسطة كيس الزور وتظهر هذه الأصوات كأنها صادرة من بطن الحيوان، وهو يشبه غالبا صوت نباح الكلب وبحاح الأوز. كما أنها – لسبب ما – تصدر مثل تلك الأصوات فى الساعات الأولى من الصباح لعدة دقائق، وتسمع تلك الأصوات على بعد ٣ – ٤ كيلومترات.

والمعروف أن مجموعة الشمبانزى قد تعيش فى مأوى واحد أو يبنى كل ليلة مأوى جديد لها، وتغطى نفسها بأوراق الأشجار أثناء هطول الأمطار.

السلوك الجنسى والتزاوجى:

تصل الشمبانزى مرحلة البلوغ عند سن يتراوح بين ٦ – ١٠ سنوات، ومدة الحمل ٢٠٠ – ٢١٠ أيام. ويتعلق الصغار بجسم الأم مثل الحزام حيث ترفع الأم أرجلها لتساعدها فى الإمساك بشدة بها خاصة حينما تقفز بين الأشجار. وكذلك لحماية الصغير وتدفئته. وتصل الشمبانزى مرحلة الشيخوخة عند عمر الثلاثين عامًا.

طرائف عن الشمبانزى:

● تتميز هذه النسانيس بالذكاء الحاد، ويمكنها أن تتعلم وتتدرب على القيام بأعمال معينة منها التفاهم بلغة الإنسان، إلا أنه ليس من الواضح ما إذا كانت لغة واضحة أم أنها حركات تقليدية فقط، كما أنها تتعلم الكثير من الحيل وهى فى الأسر.

● من الممكن استئناسها، وقد عاشت فى الأسر حوالى ٣١ عاما.

● نظرا لذكائها البالغ نسبيا، حيث يقدر أنها من أذكى الحيوانات، فإنها تستخدم فى الكثير من البحوث المعملية.

● حساسة جدا للنزلات الشعبية.

● قوية جدا وتهتك الإنسان بسهولة إذا عانقته بذراعيها فقط.

● توجد الشمبانزى فى العديد من حدائق الحيوان فى العالم، ومنها مصر، كما توجد فى حلقات السيرك.

● لا يمكن الإمساك بالصغار إلا بعد قتل الأم.

● لاحظ الحراس أنه بإمكانها معرفة فتحة القفص الذى تعيش فيه، وعند ابتعاد الحراس عنها يمكنها فتح باب القفص للهروب منه.

● ذكر الدكتور لودفيج الذى كان مديرا لحدائق الحيوان فى برلين فى ألمانيا - فى مذكراته - أنه على الرغم من منظر الشمبانزى المخيف، إلا أنها عطوفة وكريمة بطبيعتها ولا تتوانى عن التبرع بجزء من غذائها لحيوان جائع لا يكون لديه غذاء. وقد نجح أحدها فى استخراج شظية خشبية خطيرة من يد حارسها وذلك تحت إشراف لودفيج نفسه.